

الفصل الثانى والعشرون

﴿ الضرب قبل الضرب ﴾

لنفكر قليلاً كيف يعلم المخ ما جريات الأمور حولنا ، لنفكر ، كيف يعرف المخ ، مثلاً ، أنك فى المدرسة تتعلم ؟
لعلك تقول : لأنى أرى ذلك . وهذا صحيح ؛ ومعناه أن عينيك أخبرتا المخ بذلك . لكن لو أغلقت عينيك لعرف المخ أيضاً أنك فى المدرسة . وقتئذ يعرف المخ أنك فى المدرسة من الأذنين ، أو من اليدين اذا المستا المكتب الذى تجلس عليه ، وقد يعرف المخ من الأنف ، لأن لبعض المحلات رائحة خاصة . وقد يكون للمدرسة رائحة خاصة

وبالاختصار يعرف المخ ذلك عن احدى الحواس الخمس .
وماذا بعد معرفة المخ ؟

إنه « يجرى اللازم » على رأى لغة الدواوين ، يعنى يجعلك تسلك كما يجب أن تسلك فى المدرسة .
ولنحسب ، ثانياً ، أنك فى فناء المدرسة ، وأن أحد زملائك نحنا نحوك ليضربك ، فماذا يحدث ؟

إنك ، لا شك ، تستعد لملاقاته ، ولو كنت حاداً ، عصبى المزاج ، لشعرت بقلبك ، وهو يضرب ضرباً سريعاً شديداً .

وكيف يحدث ذلك ؟ وما الذى جعل قلبك يضرب ضرباً سريعاً شديداً ؟ ولم يلزم أن يضرب ضرباً سريعاً شديداً ؟ والجواب هو أن ذلك يحدث بأمر المخ . لأنه يعلم أنك إذا كنت تريد ملاقة زميلك الذى نحا نحوك ليضربك فلا بد للعضلات من مقدار عظيم من الدم . فيوحى للقلب أن اضرب ضرباً سريعاً شديداً ، وكذلك يوحى للبوابات الصغيرة التى فى شرايين الأمعاء بالإغلاق ، وللبوابات التى فى شرايين العضلات بالفتح . وبذلك تكون مستعداً للملاقة خصمك .

والغريب أن يحدث كل ذلك بسرعة فلا تكاد تشعر بما هو حادث . نعم فى لحظة تكون على استعداد للملاقة خصمك وبعبارة أخرى تكون مستعداً لضربه ضرباً قاسياً ولتلقى ضربه القاسى أيضاً . ولعل أول ما راعك قدومه شعرت بشئ غريب لا يمكن أن يسميه الانسان خوفاً ، لكنه شهيق تشنجي من الفم .

وليس يشعر كل انسان هذا الشعور ، لكن المعتاد أن يحدث هذا الشعور للانسان وقد راعه أمر أو فاجأه خبر محزن أو وجد نفسه فى خطر . ولا يكون هذا الشعور إلا لحظة واحدة .

وعلىنا ، الآن ، أن نحلل هذا الشعور لنعرف كيف يجعلنا على استعداد للمقاومة أو للعمل .

ولذلك يحسن أن نذكر ما يلزم أن يحدث لكى يستطيع الانسان

أن يعمل بالعضلات . إنها لا بد أن تمتلئ بالدم . ويلزم أيضاً أن يكون الدم نقياً ، أى أن يكون محتوياً على هواء نقي ، كما يلزم أن يتخلص الجسم من الهواء الفاسد . ولا بد أن يحدث كل ذلك سريعاً . وللتقريب أضرب لك مثلاً بالمدفع الضخم في أوان المعركة ؛ فلا بد أن يجهز بقنابل كثيرة ، بسرعة عظيمة ، وأن تخرج منه « الخراطيش » الفارغة بالسرعة عينها .

وأتى تحصل العضلات على ما تحتاج إليه من الدم ؟ تحصل عليه . من الامعاء - من القرب من المرافق التي تفرغ فيها مراكب الطعام شحنتها . ولتعلم أن هذه المرافق أكبر مخزن في الجسم يخزن مقداراً عظيماً من الدم

وكيف تحصل العضلات على ما تحتاج إليه من الدم ؟ وبعبارة أخرى ماذا يحول الدم من الامعاء إلى العضلات ؟ يتحول الدم بالطرق الآتية :

(١) باغلاق البوابات الصغيرة التي في شرايين الأمعاء فلا يرد إليها الدم بمقدار عظيم

(٢) باقباض العضلات الكبيرة التي في مقدم البطن ودفنها الدم

(٣) بانجذاب الدم الى داخل الصدر . وفي الوقت نفسه

تفتح البوابات الصغيرة التي في العضلات .

تكلمنا عن كل ذلك فيما مضى ، ويحسن أن أذكرك به من

وقت لآخر لكيلا تقع فيما يقع فيه بعضهم إذ يحسب أن ذلك من عمل القلب وحده . فالقلب عضو بديع يعمل بغير انقطاع لكنه لا يستطيع أن يعمل ذلك كله . وكل ما يعمل به القلب هو دفع الدم ليدور في الجسم دورته التي شرحناها

قلنا أيضاً إن الصبي إذا نهض من نومه حدثت هذه الأشياء جميعاً . فهو يأخذ نفساً طويلاً فينجذب الدم الى صدره كما ينجذب الهواء أيضاً ، وتنقبض عضلات بطنه فيندفع الدم من الامعاء ، وفي الوقت نفسه تغلق بوابات الشرايين الصغيرة التي في الامعاء .

وهذه كلها تحدث بأمر الملك ، وهو المنخ ، وأما الشعور الغريب يشعر به الانسان وقد راعه شيء فهو آية على تنفيذ الأمر - فيأخذ الانسان شهيقاً طويلاً فجائئاً ، وتغلق البوابات الصغيرة التي في الامعاء . ومن ذلك ترى أن الانسان يستعد للضرب قبل أن يضرب . وهذه هي طريقة الحياة . ففي الطفولة لا تعرف الأشياء الضارة ولا النافعة . فالصبي ؛ مثلاً ، لا يعرف أن من الكلاب ما يعض ، ومنها ما لا يعض . وعلى ذلك فقد يُضرب قبل أن يضرب .

فإذا نما الصبي واتسعت دائرة معارفه وعرف الحقائق فإنه يضرب قبل أن يضرب ؛ أو على الأقل يستعد للضرب قبل أن يضرب وإذا عرف زميلك أو خصمك الذي يريد أن يضربك أنك على استعداد لضربه فقد يرجع عن فكره ولا يضربك

فالتجربة موضعها المنخ . وهى القوة التى يعرف بها المنخ متى يأمر
الجسم بالاستعداد للضرب ، ومتى لا يستعد . فإذا أعوزتك التجربة
وخانتك الذاكرة وقعت دائماً فى الفخ لعدم استعدادك . ولعل هذا
هو المقصود بالحديث « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »

والحديث صادق فى كثير من الأمراض . فإذا مرض الشخص
بمرض معين ، ونجا منه فهو يستعد لمقاومته قبل أن يعاوده ، كما
يحدث فى الحصبة والجدرى الكاذب .

على أن هناك أمراضاً خاصة قد يصاب بها الانسان أكثر من
مرة كالأنفلونزا . والتعليل ، فى مثل هذه الأحوال ، هو أن المنخ إما
أن يكون قد نسى الإصابة الأولى فلا يأمر الجسم بالاستعداد لمقاومة
الإصابة الثانية ، وإما أن يكون الأمر بالاستعداد لمقاومة الإصابة قد
صدر من المنخ لكن الجسم يكون أضعف من أن يقاوم .

فالمنخ عضو غريب . فهو الذى يقوم بحراستك ، فيذكر كلما وقعت
فيه من الخطر ، فيأمر الجسم بالاستعداد للضرب قبل أن يضرب .
والمنخ ، فى الحقيقة لا ينام أبداً . فانه يقظ دائماً . وان شئت
فاعتقد بوجود مراقب « بالنو بتجية »

